

من أجل عبارات العهد الجديد وأن كانت غريبة قول كاتب الرسالة الى العبرانيين في الأصحاح الحادي عشر والآية السادسة عشر: "لا يستحي الله ان يدعى الهيم". يتحدث كاتب الرسالة هنا عن تاريخ شعب الله المرتقب موعد الله بايمان. غير راض بالاكتمال بالذات مقرا بواقعه شعبا غريبا نازلا في الأرض حاجا. امانة وطاعة الشعب المرتقب تظهر رضى الله وقبوله أن يكون إلههم. إذ أنه إله الساعين المرتقبين الذين يدركون بأن حياتهم لا تكتمل الا بكمال موعد الله. في زيارتي الأخيرة لمخيمات اللاجئين في الشرق الاوسط رأيت ما معنى ان يكون الانسان نازحا بلا مأوى بكل ما تحمل هذه الكلمات من معنى. فاللاجئ لا يثق بالمصادر المتوفرة. الخارجية منها والداخلية. كل من يعيش في هذه الظروف المكروهة لا يمكن له أن يكون رخي البال بل دائما يرتقب ويشتاق إلى مستقبل آخر. ولا يخفى على أن هؤلاء هم من عداد الذين لا يستحي الله ان يدعى الهيم. بل يفرح الله أن يكون معهم فان موطنه مع من شرد بالجسد فعلا أو بأي شكل آخر.

من غير المألوف أن يقال: "الله يستحي". وكأنتا نطمئن أنفسنا بأن الله لا يخجل بأن يظهر شريكا لنا. نحن نعرف كيف أننا غالبا ما نخجل من مصاحبة الآخرين - كما يخجل الأولاد من الأهل والأهل من أولادهم - كثيرا ما كنت أجد نفسي برفقة آخرين معي في الشارع يتحدثون بصبح ونفر مما أشعرتني بالخلج متمنيا غيبتي وبعدي عن المكان. لكن اعلم أن الله لا يستحي بشركة البشر، خاصة عندما يعدلون عن إكتفاهم بالذات، معدين أنفسهم للسير قدما نحو الله. كثيرا ما نعتقد بأن الله يستحي من مشاركة الانسان لعدم كمال الانسان وارتباكه وخطيئته. لكن الله يفرح أن يكون إله المرتبكين والخطاة عندما يعترف هؤلاء بارتباكهم فيواجهوا الحق. وحقيقة نقصهم. هذا ما تعلمناه من أمثال يسوع في إنجيل لوقا. خاصة مثل الفارسي والعشار.

في فصل الميلاد يُظهر الله كيف انه لا يستحي أن يكون معنا. إذ أنه سمع صراخ ضعفنا وشكوكنا وارتقابنا. لأنه رأى إرتباكنا وقلقنا. وهو لا يخجل أن يقف بجانبنا يسيير معنا في رحلة هذا العالم. وبما أنه يرضى أن يسيير معنا فإنه يتحدانا أن لا نخجل من شركة الآخرين. من السهل جدا أن نمتنع عن السير مع الخطاة، والمرتبكين، والمنيودين. لكن لا يخفى أن الله لا يخجل أن يظهر مع هؤلاء. إن كانت هناك جماعة يخجل الله منها فهي ليست الا هؤلاء الذين يعتقدون انهم وصلوا الكمال. الذين يصغفهم يولس بأنهم شبعوا واستغنوا وملكوا (كورنثوس الأولى 8:4). فلا يخفى بأن الله يستحي أن يكون إله هذه الجماعة من البشر. إذ أنهم أصرفوا الله وكأنه لا حاجة لهم به. ولا حاجة لهم لنعمته. أو أملة. أو مغفرته.

إعلم أن الله يحب مشاركة هؤلاء الذين يدركون نقصهم. ولذا فهو يظهر في موسم الميلاد ليقف معنا. ليجيا معنا. ليوت ويقوم من أجلنا. فهو الإله الذي يبارك الفقراء بالجسد. والفقراء بالروح الذين استغنوا عن الله، والذين يدركون مدى بعدم عن الإنسانية الحققة. ونحن علينا أن نودع هذه البركة للفقراء أجمعين أولئك الذين لا يجدون خبزهم اليومي. والذين يدركون نقصهم وجوعهم الروحي. فلنسال أنفسنا بكل صدق وأمانة مع من نستحي أن نقف - ومن ثم نسال أين يقف الله تجاه موقفنا. فإن كان الله يحتضن عالمنا المكسور وضعفات من يقر بنقصه. وجب علينا أن نكون هناك معه.